

علامة الاحتفال بحفلة غير اعتيادية فوقف برهة وإذا بعربة مذهب شقت
الجموع وعليها شارات السيادة ووراءها عدد عديد من العربات الفاخرة فسأل
أحد الحضور عن ذلك فأجابه — أن هذه عربة الدوق باريسلان . وهو
ذاهب مع الدوقة امرأة للاحتفال بشأن ابنتها مدموازل باريسلان التي . . .
فابتعد فلوريدور بدون أن يسمع تمام الحديث وقال — أواه لقد نجحت
مساعي واكاذيبي وها هي تنزوج بشريف مثلها . . لماذا لست إلا مشخص
روايات حامل الذكر . وسار ملتجئاً إلى غرفته لسكب الدموع واذ وصل إليها
رأى على الحوان ورقة معنونة باسمه فقبض ختامها وإذا بها ما يأتي :

« رغماً عن محاولتك اقتلاع حبك من فؤادي بقي شخصك نصب
ناظري وغرامك لا يبارخي حتى الرمس . ولم يخف عليّ كم أجهدت نفسك
بغية ارضاء خاطر والدي لأنني عرفت أن أقرأ دائماً تحت نقاب التصنع اسطر
حب خطها القدر على جبينك فلا تزول . ولهذا أقسمت أن لا أسلم يدي
لأحد بعد أن سلمت أياها أمام الله ولا يمكن أن أتخذ لي بعلاً سواك . وبما
أن هذا أصبح أملاً بعيد المرام وكل شيء حتى أرادتك تفصلني عنك فضلت
الانخراط في سلك الرهبنة لأبري . قسماً ففت به فلا أحنث بيمينى
اليوم أشح السواد والبس النقاب . وهذا الكتاب آخر فكر أرسله على
الأرض ابث به اليك وحين إطلاعك عليه تكون حبيبتي مرغريتا دي
بارسلان ميتة في هذا العالم لتحيا بالله

كانته
الراهبة ايناس

أحمد
الشيخ
الشيخ
الشيخ

﴿ الجزء الخامس — السنة الخامسة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٢ ﴾

﴿ الموافق ٢٣ صفر سنة ١٣٢٠ ﴾

﴿ تأثر الحيوان ﴾

﴿ بالسعادة والشقاء ﴾

كثيراً ما يتفق للانسان حين تأمله فيما يجول حوله من هذا الحيوان
الاعجم أن يسأل نفسه أو سواها ما هي سعادة هذا الحيوان وما هو شقاؤه
وهل هو فيهما على حد الانسان أو لا . وهذا ولا شك سؤال يقتضي التأمل
والاعتبار لأنه إذا كان كنه السعادة والشقاء لم يتحدد في ذهن الانسان ولا
درى لهاتين الحالتين تعريفاً ينتهي عنده البحث فإنه من البعيد أن يعرف
مقدارهما في الحيوان الاعجم وايها اشد فيه تأثيراً أو ايها اشد له ملازمة
ولا سيما بعد ما يبدو من شقاء الحيوان واستخدام الانسان لاكثر انواعه
واستبداده به فضلاً عما يختص به الحيوان من العجمة التي لا يدري شعوره
بها الا من طريق القياس أو التخمين



ولقد قلنا ان الانسان لم يدر ولن يدري مقدار السعادة والشقاء وتأثيرها في نفسه على طول وقعها عليه وملازمتها اياه وهو قول صحيح لان من الناس من يجد السعادة في كونه غنياً . ومنهم من يجدها في انه معافى . ومنهم من يراها في انه قنوع او شاب جميل الوجه او حسن الصوت او قوي العضل الى غير ذلك من مواهب الطبيعة وغفوها ولهذا ففسير عليه ان يدرك كل مقدارها في سواء من الحيوانات العجم

الا انه سواء عرف مقدار الشقاء والسعادة في الحيوان او لم يعرف فانه دون شك على جانب عظيم منهما وان لم يعلم ايها اشد ملازمة له وتأثيراً به لا متنازع مشافهته وشكواه وعدم ظهور شيء من ذلك فيه الا في الحالات الجليلة الواضحة التي لا تقضي بحسب كتابه وتعبه وغير هذا من الحالات الطبيعية المشتركة بها كل انواع الحيوان على السواء . ولكن كثيرين حين تأملهم في احوال الحيوان يعتقدون انه على شدة جهده واستخدام الانسان اياه وارهاق الطبيعة له انما هو اقل من الانسان شموراً بالشقاء واشد منه تأثراً بالنعيم ولهذا نجد البعض حين تبرح بهم المصائب يتمنون لو كانوا حيوانات لا يدركون او جمادات لا يشعرون ولعلمهم في تمنيتهم على جانب من الصواب وان كان شعور الحيوان لم يدر بالتحقيق كما قلنا

ولقد تعرض احد الباحثين لهذا الشأن ممن ارادوا معرفة الفرق بين شعور الحيوانات الناطق والاعجم فتحصل له من طريق المراقبة والقياس ان الحيوان والانسان ليسا سواء في شعورهما بالسعادة والشقاء فانه ذكر انه اذا اعتبرت الاحوال الطبيعية التي تصاحب كلا الحيوانين كالامن والذعر والخطر والسلامة والجوع والشبع والريء والظماء والتعب والراحة وامثال هذه

الاحوال فانها يكونان سمينين على الغالب ولكنه اذا اعتبرت الحالات الخارجة عن حدود الطبيعة كاجتماع الانسان وتألقه ولهوه في الزخارف التي يصنعها لنفسه دون الطبيعة فان الانسان يكون اسعد من الحيوان بكثير لانه حين تشترك احوال الطبيعة وموثراتها مع الفريقين يبقى الانسان على جانب لم يدركه الحيوان وهو جانب الصناعة والحيلة على ابعاد اذى الطبيعة والتماس لذاتها او انشائها انشاء

الا ان الطبيعة لا يمكن ان تكون ظالمة للحيوان الى ذلك الحد فتجعل شقاءه مثل شقاء الانسان من حيث وقوعها عليه وتخصص الانسان بسعادة لا ينالها الحيوان من حيث ضمه عن الصنع والحيلة بل هي لا بد ان تكون قد ساوتها مساواة تامة بان تنقص عن هذا ما زادته على ذلك فتكون ملذة الحيوان في حالة زائدة على ملذة الانسان فيها وشقاؤه في شيء اقل من شقاء الانسان به ولعل هذا لا يخلو من صواب لبعض ما يبدو من احوال الانسان والحيوان

اما ملذة الحيوان فانها على ما يظهر اقل من ملذة الانسان لانه لا ينال منها الا ما تسمح به الطبيعة المحضنة من شبع بعد جوع وري بعد ظماء وراحة بعد تعب ولكنه اذا اعتبر ان امتناع الشقاء شبه سعادة او ملذة فان الحيوان يكون شبيهاً للانسان في حاله باعتبار شتى لا تذكر كلها ولكن الذي نذكره ان في احوال الطبيعة ما يكون الحيوان فيه اكثر هناء واقل شقاء كالشبع والري مثلاً فان الذي يشاهد من الحيوان انه يكون حين حصوله عليها اشد مسرة من الانسان واكثر استمتاعاً ونعماً حتى يبدو ذلك من جركاته وهيئاته مما لا يشاهد منه في الانسان الا شيء لا يشعر به او لا

يشاهد واضحاً الا حين التعب والظلم الشديد وكل هذا يكون لانه ليس
للحيوان ملذات صناعية تستهلك شعوره بالمذات الطبيعية فهو يشعر بملاذ
الزري والشبع والراحة وسواها اكثر من شعور الانسان بها لادخاره لها هذا
الشعور وعدم انفاق شيء منه في سواه

ثم انه مما قد يراقب في الحيوان دون الانسان انه اقل شعوراً بالشقاء
الذي يرد من عند الطبيعة وسواها فان الحيوان حين يصاب بالمرض من جرح او
ضرب فان تألمه على ما يبدو منه يكون اقل من تألم الانسان ولذلك كثيراً ما
يشاهد الحيوان جريحاً دامياً ثم هو مع ذلك نشيط جائل مضطجع باعباته وهو
ما يدل على ان الله كان اقل مما يظن والا سقط اعياءه وكان مريضاً كما هي
الحال في الانسان . وعدا هذا فان كثيراً من انواع الحيوان ما تقطع بعض
اطرافه واعضائه ثم يظل جائلاً آكلاً مع ان الذي اصابه لو اصاب لانسان كان
مبرحاً وقاضياً له بالشد الآلام حتى لا يستطيع حراكاً او يذوق طعاماً . بل
ان كثيراً من الحيوان ما يبتز بعض اعضائه بترأ ذاتياً ليتخلص من ورطة او
ينجو من خطر ثم يظل سليماً معافى مع ان هذا مما لا يستطيع ان يباشره
الانسان بنفسه الا اذا جن جنونه او كان جاهلاً في حد الحيوان كما يفعل
البعض ممن يقطعون اصابهم ويفقأون عيونهم تخلصاً من الخدمة العسكرية
ومثل هؤلاء قل ان يفرقوا عن الحيوان لانهم عاشوا معيشته في اعتيادهم
الشقاء والجهد الشديد وقد بات احساسهم من الجهة الادبية حتى تبعه موت
شيء من احساسهم المادي

ثم ان الحيوان عدا عن اختصاصه بشيء من مساعمة الطبيعة له في شقاها
المادي فانه يختص بشيء قد يكون سعادة ما يبعدها سعادة من الجهة الادبية

المعنوية وذلك من حيث تأثر العواطف والوجدانات بالموثرات الادبية فان الحيوان
اذا فارق اليقه او وطنه فقد لا يجد لذلك شيئاً من التبريح والوجد الذي يجده
الانسان اذ ان الانسان قد يجن من شدة الحزن او يقتل نفسه تخلصاً من
وجدانه المؤلم على حين لا يفعل الحيوان شيئاً من ذلك واذا اتفق ان شوهد
منه هذا فاعلم ان يكون نادراً لا يعتد به

الا انه اذا كان لا يستطيع كل الحكم على الحيوان من جهة تأثره
لفراق مكانه او اليقه او شيء مثل ذلك فان الحكم عليه مستطاع من جهة قلة
تأثره بالخطوب ومبالاته بها فان الحيوان حين يلد يكون اشد المخلوقات
اكتئاباً لمولوداته واكثرها اشفاقاً وحنواً عليها حتى ان منها ما يقتحم النار
تخليصاً لها اذا اكتنفتها ويواجه صدور الرياح والبنادق دفاعاً عنها اذا تعرض
لها احد باذى . ولكن هذا الحنو الشديد لا بد ان يكون مصحوباً بمسرة
ولذة لا يجدها في الانسان في نفسه وذلك لان الانسان اذ لا يدافع
عن اولاده كل ذلك الدفاع فهو على الأرجح لا يجد في نفسه منهم مقدار
تلك المسرة . ثم ان الامر قد ينمكس الى ضده من جهة الحزن فان الحيوان
على شدة دفاعه عن اولاده وحنوه عليها لا يجد لفراقها او موتها مقدار
الحزن الذي يجده الانسان بل ان الحيوان يقتل ابنه او يؤخذ منه او يموت
امامه فينوح عليه نوحاً يبدو منه جناً ولكنه لا يمضي عليه اليوم واليومان
حتى تجده قد سلا ما فقد ونسي ما كان فيرجع الى صاحبه وحالته الاولى على
خلاف الانسان فان حزنه على مفقوده قد يشتد به الى حد الموت فيقضي
حزناً على من قضى له فضلاً عن ان تبريح الحزن مما يصاحب الانسان دهرأ
طويلاً حتى ينقص عليه كل لذاته ويجد الحيوان اسعد منه واهناً بالاً

وعلى الاجمال فان شعور الحيوان بالمصائب والمكاره اقل جداً من شعور الانسان بها الى حد لا يؤسى به على الحيوان ولا يعتبر معه انه مظلوم من الطبيعة والناس. وحسبك دليلاً على ذلك ان توقع الموت معدوم من نفسه فهو لا يدري انه سيفقد من هذا الوجود ولا يعلم اذا مرض انه قد يموت. وانت متى علمت ان من اشد ما ينقص البقاء على الانسان معرفته بانه مائت لا محالة وانه لا هم له من دنياه الا الحرص على هذه الحياة والبقاء الدائم لها. فقد هان عليك ان تعلم ان الحيوان ليس باشد شقاء من الانسان ولو بدا معها بدا في مظاهر الشقاوة التي لا تحتل بل ان الانسان يشقى في حياته بمقدار سعادته منها فكما كثرت له اسباب السعادة كثرت معها اسباب الشقاء لانها تجيء معها على طريق واحدة واما الحيوان فيشقى شقاء مادياً لا يعرفه الا في الحاضر فقط ويسعد سعادة مادية لا يعلمها الا في حينها فهو لا يأسى على ما فات ولا يتوقع لما هو آت وحسبك بها سعادة قد عدتها الانسان من بين كل الحالات

﴿ شدة التوفير ﴾

للانسان من دنياه حالات كثيرة يلهو بها وينعم وهي لا حد لها ولا تعريف اذ منها حالات الشقاء لا تحصى ولا تعرف ولكن اذا كان اشد ما يصاب به الانسان من وجبات حزنه واسفه هو اشتداد فقره وعدمه وضيق مذاهب التحصيل في وجهه فلا شك ان اشد ما يكون موجباً لسروره ونعيمه هو

فرط غناه وكثرة ادخاره لان المسرة بجمع المال والحصول عليه معدودة عنوان المسرات في نظر الاكثرين

الا انه اذا كان لا يوجد فرق في المسرة بين جمع المال وادخاره وبين المسرة في انفاقه والاستمتاع به فان فيما بينهما فرقاً بعيداً من جهة النتيجة وهو ما لا ينتبه اليه الا كثرون الا بعد ان تكبرن قد خانتهم اعمارهم وخانتهم لذة التحصيل والانفاق فيقدمون لا مال لديهم ليسروا بانفاقه اذا كانوا من الباذلين ولا نشاط لهم ليسروا بتحصيل المال اذا كانوا من الباخلين

اما الذي يجد المسرة في دنياه بتحصيل المال وانفاقه في حين واحد فقد حاز دون شك لتمام اللذتين لانه ممن يكونون قد ركب في طباعهم عدم الاعتداد بما يجيء به الغد فهو يحصل مسروراً وينفق مسروراً ثم لا يكون سروره فقط من حيث ما جاء به المال مباشرة بل من حيث ما يعتقده في نفسه من ثناء الناس عليه واعجابهم به واعظامهم له فضلاء عما يجده في نفسه من المسرة بكثرة اطلاعه وزيادة تجاربه واتساع عقله بحيث انه اذا انفق وخانته المقادير حتى لا يتهياً له ملذة من تحصيل او انفاق فانه يجد في نفسه عزاء كبيراً من مشاركة الناس له في كل حالاته ومساعدتهم اياد في كل ما ينويه فضلاً عن انه يكون في انفاقه الماضي قد استفاد من دنياه فوائد جمة تعينه على كل ما يريد من اعماله بحيث تكون شبه رأس مال له حين يعجزه المال ولهذا يقولون ان الكريم لا يضام يريدون بذلك ان الباذل يكون كأنه قد اقرض الناس بعض امواله حين كان ينفقها ولو لم يكن انفاقها عليهم او يكون كأنه اقرض نفسه علماً واختباراً تردها اليه حين يريد منها وكثيراً ما وجدنا ذلك بين الناس حتى لئري ان صاحب العلم والخبرة اغنى من